

## المسؤولية المدنية والذكاء الاصطناعي : أي حل؟

يوسف إسلام : طالب دكتوراه،

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة

### ملخص

يمثل ظهور الذكاء الاصطناعي تحد حقيقي لنظام المسؤولية المدنية، بحيث يظهر هذا الأخير -أي نظام المسؤولية المدنية- أنه غير قادر على تعويض الأضرار الناجمة عن الذكاء الاصطناعي، الأمر الذي دفع ببعض الفقه إلى ضرورة منح شخصية قانونية للذكاء الاصطناعي قصد سد العجز الذي يعتري نظام المسؤولية المدنية، غير أن هذا الحل يعتبر حل غير مناسب، ذلك أنه في الحقيقة يمكن تطبيق قواعد المسؤولية المدنية من خلال تكيفها مع خصوصيات الذكاء الاصطناعي كحل قضائي مؤقت، إلى حين تكريس نمط جديد من المسؤولية يعرف بالمسؤولية عن فعل الذكاء الاصطناعي كحل مستقبلي.

**الكلمات المفتاحية:** مسؤولية مدنية-الذكاء الاصطناعي-فعل الذكاء الاصطناعي - الشخصية القانونية - شيء غير مادي.

### Abstract

The emergence of artificial intelligence is a real challenge to the system of civil liability, so that the latter - the civil liability system - shows that it is unable to compensate for artificial intelligence prejudices. This led some jurisprudence to give legal personality to artificial intelligence in order to fill the deficit civil liability, however, is an inappropriate solution. In fact, civil liability rules can be applied by adapting them to the peculiarities of artificial intelligence as a temporary judicial solution until a new pattern of responsibility, known as the responsibility for artificial intelligence, is established as a future solution.

**Key Words :** Civil liability - Artificial intelligence - Legal personality.

شهد القانون منذ القدم، تحولات وتغيرات جذرية، ويكون مثل هذا التطور أمرا حتميا وطبيعيا، موازاة مع تطور المجتمعات سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا، وحتى تكنولوجيا. وقد واكب القانون تلك المتغيرات إما من خلال التكيف مع الواقع أو من خلال التجديد والمساس بما هو مستقر عليه إن استدعى الأمر ذلك، وكان الفقه وبعده القضاء أداة لمثل هذا التطور والتجديد.

تعرف البشرية اليوم ثورة تكنولوجية<sup>1</sup> لم تكن لتخطر على بال أحد، ولعل من بين أبرز مظاهر هذه الثورة التكنولوجية والرقمية ما أصبح يعرف بالذكاء الاصطناعي، بحيث أصبح يتم إسناد الأفعال التي لا طالما انفرد بها جنس الإنسان إلى الذكاء الاصطناعي والروبوتات وذلك في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ولا شك في أن مثل هذا الأمر سيغير من نمط عيش المجتمعات وسيطال هذا التغيير حتما القواعد القانونية الموجودة، ويثير تساؤلات عديدة حول مدى قابليتها للتطبيق والملائمة<sup>2</sup>. إن من بين أبرز المشاكل القانونية التي أثارها ظهور الذكاء الاصطناعي على مستوى الأنظمة القانونية الموجودة، هو مدى استجابة وقدرة نظام المسؤولية المدنية على تعويض الأضرار الناجمة عن فعل الذكاء الاصطناعي<sup>3</sup>؟ باعتبار أن تضاعف استعمال الذكاء الاصطناعي في جميع مناحي الحياة، سيشكل مصدرا مباشرا للأضرار<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>F. Granotier, C. Jurczak, *La révolution technologique qui va bientôt nous surprendre*, 1001 Réponse, 2018.p10 F. Yachir, *La méditerranée dans la révolution technologique*, éd L'Harmattan, 1992, p.20

<sup>2</sup>M.S. Willick, *L'intelligence artificielle : les approches juridiques et leurs implications*, *Ordre juridique et ordre technologique*, Cahier S.T.S., éd du CNRC, 1986, p.54. S. Canselier, *Les intelligences non-humaines et le droit, observation à partir de l'intelligence animale et de l'intelligence artificiel*, *Archives de philosophie du droit*, n°55, 2012, p.207. A.D. Streel, H. Jaquemin, *L'intelligence artificielle et le droit*, Larcier, 2018.p10 M-C. Alexandra, *Le droit confronté à l'IA des robots : vers l'émergence de nouveaux concepts juridiques ?* *Recueil Dalloz*, n°8, 2016, p.445. A. Mandil, *Quel impact de la révolution robotique sur le droit français ?*, *Mandil droit des technologies numérique*, (en ligne), mis à jour le 21 février 2016, <https://glorieusefrance.fr/limpact-de-la-revolution-robotique-sur-le-droit/>.

<sup>3</sup>H «considérant que, grâce aux impressionnants progrès de la technique au cours des dix dernières années, non seulement les robots contemporains sont capables de mener à bien des tâches qui relevaient autrefois exclusivement de la compétence humaine, mais encore que la mise au point de certaines fonctionnalités autonomes et cognitives (comme la capacité de tirer des leçons de l'expérience ou de prendre des décisions quasi-indépendantes) rapprochent davantage ces robots du statut d'acteurs interagissant avec leur environnement et pouvant le modifier de manière significative; que, dans un tel contexte, la question de la responsabilité juridique en cas d'action dommageable d'un robot devient une question cruciale». Rapport portant recommandation à la Commission concernant les règles de droit civile sur la robotique (2015/2103(INL)), [http://www.cil.cnrs.fr/CIL/IMG/pdf/rapport\\_robotique.pdf](http://www.cil.cnrs.fr/CIL/IMG/pdf/rapport_robotique.pdf), p.7.

<sup>4</sup> N. El-Kaakour, *L'intelligence artificielle et la responsabilité civile délictuelle*, Mémoire, Université Libanaise, 2017.p5 A. Bonnet, *La responsabilité du fait de l'intelligence artificiel*, Mémoire, Paris II, 2015.p4.

تعكس الفلسفة التي يستند عليها نظام المسؤولية المدنية طبيعة المجتمع الذي يطبق فيه، كأن يكون المجتمع زراعيا أو صناعيا، مستوردا أو مصدرا، بل وحتى تكنولوجيا أو رقميا. ولما كان الذكاء الاصطناعي يمثل وضعاً جديداً ليس على مستوى القانون فحسب، بل حتى على مستوى المجتمع الجزائري، فليس من الغريب ألا يعالج نظام المسؤولية المدنية مثل هذا الوضع.

يشكل عدم معالجة نظام المسؤولية المدنية، للأضرار الناجمة عن فعل الذكاء الاصطناعي، فراغاً تشريعياً قد يستوجب سده، وبما أن المشرع لا يتدخل إلا بالنسبة للقضايا التي تهم المجتمع من جهة أولى، وعندما يشكل الإطار القانوني الموجود قصوراً من جهة ثانية، فقد نتساءل مرة أخرى عما إذا كانت القواعد الموجودة حالياً قادرة فعلاً على تعويض من لحقه ضرر بسبب الذكاء الاصطناعي؟

يرى بعض الفقه، أن القواعد الحالية لنظام المسؤولية المدنية، هي قواعد غير قادرة على تعويض الأضرار الناجمة عن الذكاء الاصطناعي، لذلك اقترح بعض الفقه منح شخصية قانونية للذكاء الاصطناعي والروبوتات<sup>1</sup>، ويكون مثل هذا الوضع مقاربا تماماً لما كان عليه الوضع إزاء منح الشخصية القانونية للشخص المعنوي، ويبدو أن مثل هذا الحل هو الذي تبناه الاتحاد الأوروبي بتاريخ 2017/02/16<sup>6</sup> والولايات المتحدة الأمريكية. ويمثل منح شخصية قانونية للروبوتات بالنسبة لبعض الفقه الحل الملائم، إذ يمكن بعدها بكل سهولة إسناد المسؤولية إلى الذكاء الاصطناعي والروبوتات.

إن منح شخصية قانونية للذكاء الاصطناعي والروبوتات، يعني أن الإنسان أصبح غير مسؤول عن الأفعال الضارة التي يلحقها الذكاء الاصطناعي بالغير، ويبدو أن مثل هذا الحل غير منطقي، لأنه تكريس للمسؤولية.

ينكشف لنا بوضوح عند الرجوع إلى مختلف أنظمة المسؤولية المدنية الموجودة في القانون المقارن<sup>h</sup>، يستوي في ذلك نظام البنود العامة، أو نظام الأنظمة الخاصة، أو

<sup>1</sup> A. Bensoussan J. Bensoussan, *Droits des robots*, éd Larcier, 2015. Bourcier, De l'intelligence artificielle à la personne virtuelle : émergence d'une entité juridique ?, *Droit et société*, n°49, 2001, p.847. P. Veber, *robotique et responsabilité : le choix de l'illusion ou du pragmatisme ?*, *Décideurs*, n°163, 2014, p.20.

<sup>6</sup>N. Nathalie, *règles européennes de droit civil en robotique*, Parlement européen, Direction générale des politiques internes, Département thématique C, Droits des citoyens et affaires constitutionnelles, Affaires juridiques et parlementaires, Etudes pour la commission JURI, PE 57.379 FR, 2016.

[http://www.europarl.europa.eu/RegData/etudes/STUD/2016/571379/IPOL\\_STU%282016%29571379\\_FR.pdf](http://www.europarl.europa.eu/RegData/etudes/STUD/2016/571379/IPOL_STU%282016%29571379_FR.pdf).

<sup>h</sup>R. David. C. Jauffret-Spinozi et M. Goré, *Les grands systèmes de droit contemporains*, Dalloz, 12<sup>e</sup> éd, 2016, p.14.

نظام تدرج المصالح المحمية<sup>1</sup>، أو نظام الضمان<sup>2</sup>، أن الشخص القانوني هو محور نظام المسؤولية المدنية، بمعنى أنه لا يمكن مساءلة غير الشخص القانوني، فالقانون لا يقيم مسؤولية الشخص إلا لأنه ارتكب سلوك غير شرعي، أو استحدث خطرا داخل المجتمع، بالإضافة إلى أن القانون يُمكن المسؤول دائما من نفي المسؤولية الملقاة على عاتقه.

إن عجز بعض قواعد المسؤولية المدنية عن تعويض الأضرار الناجمة عن الذكاء الاصطناعي يبرر منح شخصية قانونية للذكاء الاصطناعي ومن ثم إسناد المسؤولية مباشرة إلى هذا الأخير هو حل غير منطقي (F) ذلك أن الشخص القانوني يبقى محور نظام المسؤولية المدنية ومن ثم هو الذي يتحمل تبعات ما ينجم عن فعل الذكاء الاصطناعي (II).

### F - محاولة إسناد المسؤولية المدنية إلى الذكاء الاصطناعي : حل غير مناسب

إن اتجاه بعض الفقه إلى إسناد المسؤولية المدنية مباشرة إلى الذكاء الاصطناعي، مرده في نظرهم عجز كلي لنظام المسؤولية المدنية عن تعويض الأضرار الناجمة عن فعل الذكاء الاصطناعي، لذلك اقترحوا منح شخصية قانونية له<sup>3</sup>، ومن ثم تحميله تبعات أفعاله. غير أن هذا الرأي في اعتقادنا غير صحيح، لأن الذكاء الاصطناعي يبقى مجرد شيء غير مادي لا يتمتع بالشخصية القانونية ومن ثم يستحيل مساءلته وتحميله المسؤولية هذا من جهة أولى (1) ومن جهة ثانية، يبقى الشخص القانوني محور نظام المسؤولية المدنية، بمعنى أنه لا له يمكن مساءلة غير الشخص القانوني (2).

### 1- الذكاء الاصطناعي : شيء غير مادي

إن من بين أهم التقسيمات الكبرى التي يقوم عليها القانون، هو التمييز بين الأشخاص والأموال، ولا يعدو أن يكون هذا مجرد تصنيف نظري بقدر ما هو تصنيف تترتب عليه الكثير من الآثار القانونية أبرزها هو إسناد المسؤولية، يستوي في ذلك أن تكون المسؤولية، مدنية أو جزائية، فالشخصية القانونية هي محور المسؤولية تدور معها وجودا وعدما. ومن ثم فإنه يكون من غير المنطقي أن يسند القانون المسؤولية إلى غير الشخص القانوني، ومن وجهة نظر القانون فكل ما ليس شخص يدخل حتما في نطاق الأشياء.

<sup>1</sup>Ph. Remy, *Réflexions préliminaires sur le chapitre des délits*, in F. Terré (dir.) Pour une réforme du droit de la responsabilité civile, D. Coll « Thèmes et commentaires », 2011, p.21.

<sup>2</sup>وهبة الزحيلي، نظرية الضمان أو أحكام المسؤولية المدنية والجنائية في الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2003، ص 21. علي الخفيف، الضمان في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2000، ص 8. مصطفى أحمد الزرقا، الفعل الضار والضمان فيه، دار العلم، دمشق، سوريا، 1988، ص 10، شوقي بناسي، تأثير القانون الفرنسي والمصري على القانون المدني الجزائري - الالتزامات أنموذجا -، القانون المدني بعد أربعين سنة، ملتقى دولي 24 & 25 أكتوبر 2016، حوليات جامعة الجزائر 1، عدد خاص، ص 162.

إن الشخصية القانونية، باعتبارها صلاحية الشخص لاكتساب الحقوق وتحمل الالتزامات لم تبقى مرتبطة بشخص الإنسان، وإنما انتقلت بعد ذلك لتشمل مجموعة الأشخاص والأموال التي تشترك فيما بينها قصد تحقيق غاية معينة فظهر ما يعرف بالشخص المعنوي، الذي عرف اختلافاً فقهيًا حاداً بين مؤيد ومعارض، إلى أن انتهى الجدل الفقهي إلى الاعتراف بالشخصية القانونية للشخص المعنوي ولو كان ذلك من منطلق الضرورة الحتمية<sup>1</sup>.

أثارت الطبيعة القانونية للذكاء الاصطناعي جدلاً فقهيًا واسعاً<sup>2</sup>، بين فريق يرى ضرورة منح الشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي والروبوتات، وبين فريق يرفض منح الشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي. لقد دافع الأستاذ A. Bensoussan عن أطروحة منح شخصية قانونية لروبوتات، ويكون الأمر من وجهة نظره موازياً لما كان عليه الأمر عند منح الشخصية القانونية للشخص المعنوي من جهة أولى، ومن جهة ثانية بالنظر إلى الخصائص التقنية التي يتمتع بها الذكاء الاصطناعي والمتمثلة في الاستقلالية<sup>1</sup> والقدرة على التعلم الذاتي، كل هذا يؤهل الذكاء الاصطناعي إلى الاستفادة من الشخصية القانونية.

لا يرقى الذكاء الاصطناعي والروبوتات إلى درجة منح الشخصية القانونية، ذلك أن جميع الحجج المقدمة من طرف الأستاذ A. Bensoussan هي حجج غير مقبولة من طرف الكثير من الخبراء<sup>2</sup>، بالإضافة إلى أن المقارنة بين الشخص المعنوي والروبوتات هي مقارنة في غير محلها، ذلك أن معيار منح الشخصية القانونية للشخص المعنوي هو معيار مغاير لمنح الشخصية القانونية بالنسبة للروبوتات<sup>3</sup>. أما عن مسألة

<sup>1</sup> J-P Gridel, *la personne morale en droit français*, RID com. n°2, 1990. C-M Claude, *L'intérêt de la personnalité morale*, In la revue des sciences de gestion, n°2, 2008.

<sup>2</sup> M-A. Cou Therut, *reflexion sur le statut juridique des robots*, <https://www.lesechos.fr/idees-debats/cercle/cercle-183899-reflexions-sur-le-statut-juridique-des-robots-2184442.php>.

<sup>1</sup> «considérant que l'autonomie d'un robot peut être définie comme la capacité à prendre des décisions et à les mettre en pratique dans le monde extérieur, indépendamment de tout contrôle ou influence extérieurs; que cette autonomie est de nature purement technique et que le degré d'autonomie dépend du degré de complexité des interactions avec l'environnement prévu par le programme du robot ». [http://www.cil.cnrs.fr/CIL/IMG/pdf/rapport\\_robotique.pdf](http://www.cil.cnrs.fr/CIL/IMG/pdf/rapport_robotique.pdf), p.7.

<sup>2</sup> G. Coutrois, *Intelligence artificielle : des experts se mobilisent contre la création d'une personnalité juridique pour les robots*, (en ligne), mis à jour 18/04/2018, <https://www.eff.fr/actualites/affaires/themes-divers/details.html?ref=r-1216c84f-c958-480d-b969-90f16e194df3>.

<sup>3</sup> راجع حول العناصر الأساسية للشخص المعنوي، قرار محكمة النقض الفرنسية:

« La personnalité morale n'est pas une création de la loi ; elle appartient, en principe à tout groupement pourvu d'une possibilité d'expression collective pour la défense d'intérêts licites, digne, par suite, d'être juridiquement reconnus et protégés ». Cass. Civ. 2<sup>e</sup>, 28 janvier 1954, pourvoi n° 54-07081, Bull. civ. n°32, Janvier 1954, p.20.

الاستقلالية والقدرة على التعلم الذاتي فهي لا تبرر كذلك منح شخصية قانونية للروبوتات، لأنه لو كان الأمر كذلك لمنح المشرع للحيوان الشخصية القانونية نظرا للاستقلالية التي يتمتع بها، إلا أنه -أي الحيوان- يبقى مجرد شيء مادي ويبقى الانسان هو المسؤول عن تبعة أفعاله.

إن منح شخصية قانونية للروبوتات لمجرد عجز قواعد المسؤولية المدنية عن أداء الوظائف المسندة إليها، يشكل حل سهل، حيث يتم تحديد المسؤول بكل سهولة، غير أن القانون لا يبحث عن الحل السهل في كل الأحوال، بقدر ما يبحث عن الحل الذي يكون أكثر منطقاً وأكثر انسجاماً مع المنظومة القانونية ويكون أكثر ملائمة للمجتمع، ومن ثم فإن إسناد المسؤولية المدنية مباشرة إلى الذكاء الاصطناعي هو حل غير منطقي، لأنه تكريس واضح للمسؤولية، بالإضافة إلى أنه يمكن إعمال قواعد المسؤولية المدنية دون حاجة إلى منح الشخصية القانونية للروبوتات، ومن ثم يكون منح شخصية قانونية للروبوتات حل غير مناسب<sup>1</sup>، ذلك أن الذكاء الاصطناعي يبقى مجرد شيء غير مادي.

## 2- الشخص القانوني: محور نظام المسؤولية المدنية

يكون نظام المسؤولية المدنية عند تحليل أحكامه مصدراً من مصادر الالتزام، فالمسؤولية المدنية تشكل واقعة قانونية مولدة للالتزام، بعبارة أخرى تعتبر المسؤولية المدنية، علاقة دائنية بين المسؤول والمتضرر، هذا من جهة أولى، علماً أن المسؤولية المدنية لا تقوم إلا باجتماع ثلاثة أركان وهي: الفعل المولد للضرر، الضرر والعلاقة السببية، هذا من جهة ثانية، ناهيك عن كون المسؤولية المدنية هي نظام شامل لجميع الأضرار<sup>2</sup>، بمعنى أن المسؤولية المدنية نظام يمكن أن يعرض جميع الأضرار من جهة ثالثة، مع الإشارة إلى أنه ليس أي ضرر قابل للتعويض، وإنما ينبغي أن يشترط فيه بعض الشروط حتى يصبح ضرراً قابلاً للتعويض عنه من جهة رابعة<sup>3</sup>، أما عن التعويض

<sup>1</sup> «Il est aujourd'hui impossible, et probablement pour très longtemps encore, qu'un robots puisse participer à la vie juridique en l'absence d'un être humain qui se dessinerait». N. Nathalie, *règle européennes de droit civile en robotique*, préc, p.17

<sup>2</sup> «...dans la vaste latitude tous les genres de dommage et les assujettir à une réparation uniforme qui a pour mesure la nature du préjudice souffert. Depuis l'homicide jusqu'à la plus légère blessure, depuis l'incendie d'un édifice jusqu'à la rupture d'un immeuble chétif, tout est soumis à la même loi: tout est déclaré susceptible d'une appréciation qui indemniser la personne lésée des dommages quelconques qu'elle a éprouvés». Discours du Tribun Tarrible devant le tribunal le 19 Pluviose an XII, in LOCR2, La législation civile, commerciale et criminelle de la France, ou commentaires et compléments des codes français, T XIII, Paris, Treuttel et Wurtz, 1828, p.58.

<sup>3</sup>A. Bascoulergue, *les caractère du préjudice réparable, Réflexion sur la place du préjudice en droit de la responsabilité civile*, P UAM, 2014, p103.

الذي تستحقه الضحية فهو تعويض يغطي كامل الضرر، ولكنه في نفس الوقت يعتبر أثر للسلوك الذي أتاه الفاعل، بعبارة أخرى فإن التعويض الذي تستحقه الضحية لا يرقى إلى درجة حق مضمون من جهة خامسة<sup>1</sup>، ويعتبر التعويض الذي تستحقه الضحية حق متنازع فيه بمعنى أنه يمر عبر المطالبة القضائية أين يمكن للمسؤول نفي المسؤولية الملقاة على عاتقه من خلال قطع علاقة السببية، ومن ثم لا يتحصل المتضرر على تعويض من جهة سادسة.

إن هذه المميزات التي يمتاز بها نظام المسؤولية المدنية، تدور حول محور واحد وهو الشخص القانوني، بمعنى أن المسؤولية في إطار القانون المدني تقع على شخص الإنسان المميز، ولم يخطر ببال أحد أن يتم إسناد المسؤولية المدنية إلى شخص غير الإنسان إلا عند ظهور الذكاء الاصطناعي، إذ يكشف تطور المسؤولية المدنية من الذاتية إلى الموضوعية، أن الآلة هي السبب الرئيسي في هذا التطور، غير أن الفقه في تلك المرحلة لم يفكر في مساءلة الآلة، وإنما تم البحث عن المستفيد من هذه الآلة وماهي الأخطار التي استحدثتها الآلة، فظهرت نظرية المخاطر التي تعتبر من أقوى النظريات في تبرير المسؤولية الموضوعية.

إن الرجوع إلى مختلف الأنماط التي كرسها المشرع للمسؤولية المدنية، سواء في إطار القانون المدني، أو في إطار التشريعات الخاصة يتضح بوضوح أن الشخص القانوني هو محور نظام المسؤولية المدنية، فالقانون يقيم مسؤولية الشخص عن الأشياء الموجودة تحت حراسته وألحقت أضرار بالغير، كما يقيم القانون أيضا مسؤولية الشخص عن الأضرار التي يلحقها الحيوان بالغير متى كان تحت حراسته وحتى ولو لم يكن مالك له.

إن بين الوظائف الرئيسية للمسؤولية المدنية، بالإضافة إلى كونها أداة للتعويض عن الأضرار، هي أن المسؤولية المدنية تمتاز بوظيفة معيارية، بمعنى أنها أداة لتقويم السلوك غير الاجتماعي الذي يرتكبه الأفراد داخل المجتمع<sup>6</sup>، ولا شك أن هذه الوظيفة لا يتم تأديتها إلا إذا كان الشخص القانوني هو محور نظام المسؤولية المدنية.

<sup>1</sup> ويبدو -عندئذ- واضحا أن التعويض الذي تحصل عليه الضحية، في حالة إثبات الخطأ (وكذا ركني الضرر والعلاقة السببية) هو مجرد أثر، بل بالأحرى الجزاء المدني الذي يرتبه القانون على السلوك الخاطئ الذي أتاه المسؤول، فالعبرة ليست بحق الضحية في التعويض، وإنما بمعاقبة سلوك الفاعل". والحاصل -عندئذ- أن تعويض المضرور لم يرق إلى درجة الحق بآتم المعنى، بل بقي مقيدا بسلوك أو نشاط المسؤول، فيظهر في ثوب الجزاء أكثر مما يظهر كحق للمضرور. علي فيلالتي، تطوّر الحق في التعويض بتطوّر الضرر وتنوعه، حوليات جامعة الجزائر 1، عدد 31، ج1، جوان 2017، ص13-14.

<sup>6</sup>A. Tunc, *Responsabilité civile et dissuasion des comportements anti-sociaux*, Mélanges M. Ancel, T. 1, p.29.

إن إسناد المسؤولية المدنية إلى الذكاء الاصطناعي مباشرة هو أمر مناقض لجوهر نظام المسؤولية المدنية، ذلك أن إسناد المسؤولية أو بعبارة أخرى تحمل التبعة هو شعور إنساني، فتحمل المسؤولية هو شرف لا يناله إلا بني البشر، ومن ثم فإسناد المسؤولية المدنية إلى الذكاء الاصطناعي هو حل غير منطقي من وجهة نظرنا، كل ما في الأمر أنه يمكن تكييف أو تطويع قواعد المسؤولية المدنية لمواجهة الأفعال الناجمة عن فعل الذكاء الاصطناعي.

## (II) إمكانية تطبيق قواعد نظام المسؤولية المدنية عن الأضرار الناجمة عن فعل الذكاء الاصطناعي : حل مناسب

يمكن تطبيق قواعد المسؤولية المدنية، دون منح شخصية قانونية للذكاء الاصطناعي والروبوتات، ويبدو أن قواعد المسؤولية الموضوعية هي التي قد تكون قابلة للتطبيق ذلك أنه يستحيل تطبيق قواعد المسؤولية الذاتية. في اعتقادنا أن الأمر لا يكون إلا من خلال تكييف بعض قواعد المسؤولية الموضوعية لتعويض ضحايا الأفعال الناجمة عن فعل الذكاء الاصطناعي في مرحلة أولى وكحل مؤقت (1) ليتم بعد ذلك في مرحلة ثانية تكريس نمط جديد للمسؤولية المدنية يعرف بالمسؤولية عن فعل الذكاء الاصطناعي كحل مستقبلي (2).

### 1- تكييف قواعد المسؤولية الموضوعية : حل مؤقت

بعد استبعاد قواعد المسؤولية الذاتية، أي المسؤولية القائمة على الخطأ، ففي اعتقادنا أن قواعد المسؤولية المدنية الحالية والتي يبدو أنها قابلة للتطبيق على الأفعال الناجمة عن فعل الذكاء الاصطناعي، هي المسؤولية عن فعل الأشياء (1.1) والمسؤولية عن فعل المنتجات المعيبة (2.1).

#### 1.1. تكييف المسؤولية الناشئة عن فعل الأشياء<sup>1</sup>

تنص المادة 138 مدني " كل من تولى حراسة شيء وكانت له قدرة الاستعمال والتسيير والرقابة يعتبر مسؤولاً عن الضرر الذي يحدثه ذلك الشيء.....". يتبين من حكم هذه المادة أن الشخص لا يسأل على أخطائه الشخصية فحسب، بل يسأل حتى عن الأشياء التي تكون محل حراسته عندما تلحق ضرراً بالغير، كما يخول المشرع

<sup>1</sup> A. Lucas, *La responsabilité des choses immatérielles*, Le droit privé français à la fin du XXe siècle, Etudes offertes à Pierre Catala, Litec, 2001, p.817. S. Retif, *Un critère unique de la garde d'une chose : la faculté de prévenir le préjudice qu'elle peut causer ?*, Resp. civ. Assur, n°11, 2004, ch. n°24. E. Tricoire, *La responsabilité du fait des choses immatérielles*, Libre droit : mélange en l'honneur de Philippe Le Tourneau, Dalloz, 2008, p.983.

للمسؤول إمكانية نفي المسؤولية الملقاة على عاتقه بمقتضى الفقرة الثانية من المادة 138 مدني. ونتساءل في هذا الصدد عن قابلية هذه المادة للتطبيق عن الأفعال الناجمة عن فعل الذكاء الاصطناعي.

لا يمكن تطبيق المادة 138 مدني التي جسدت المسؤولية الناشئة عن فعل الأشياء، على الأفعال الناجمة عن فعل الذكاء الاصطناعي، إلا إذا تم اعتبار الذكاء الاصطناعي شيء، وكان هذا الشيء محل حراسة. ويبدو من خلال التحليل أننا كنا قد انتهينا إلى اعتبار الذكاء الاصطناعي مجرد شيء غير مادي، ومن ثم فيكون اعتبار الذكاء الاصطناعي شيء بمفهوم المادة 138 مدني لا يثير أي إشكال.

غير أن الأشكال قد يثور بمناسبة الحديث عن مفهوم الحراسة، إذ أن الحراسة هي مناط مسؤولية الحارس عن فعل الأشياء<sup>1</sup>، وقد عرف المشرع حارس الشيء في نص المادة 138 مدني متأثرا في ذلك باجتهاد محكمة النقض الفرنسية، إذ يعتبر حارسا كل من له قدرة الاستعمال والتسيير والرقابة، ويبدو أنه بالرجوع إلى خصائص الذكاء الاصطناعي، أنه يستحيل أن يكون محل رقابة بالنظر إلى خاصية الاستقلالية التي يتمتع بها، ومن ثم فإن تطبيق المادة 138 مدني المتعلقة بالمسؤولية عن فعل الأشياء يثير بعض الصعوبات<sup>2</sup>.

إن مفهوم الحراسة ليس مفهوم ثابت، إنما هو مفهوم مرن، ومن ثم يمكن للقضاء أن يعطي تفسيرا واسعا لمفهوم الحراسة ويجعلها منطبقة تماما مع فعل الذكاء الاصطناعي، إذ أن المسؤولية المدنية هي نظام قضائي بالدرجة الأولى، وينبغي على القضاء تحت مبرر حماية الضحايا إعطاء مفهوم جديد يتماشى وخصوصية الذكاء الاصطناعي.

يملك حارس الذكاء الاصطناعي، سلطة الاستعمال وسلطة التسيير، غير أنه تتقصر سلطة الرقابة على فعل الذكاء الاصطناعي بالنظر إلى الاستقلالية التي يتمتع بها هذا الأخير، ومن ثم فعند مساءلة حارس الذكاء الاصطناعي يدفع بانعدام صفة الحارس نظرا لفقدان سلطة الرقابة، ومن ثم لا تقوم المسؤولية. إن القانون يسأل حارس الحيوان على الرغم من أن الإنسان ليس له قدرة الرقابة على الحيوان بمعنى أن الحيوان يتمتع أيضا بخاصية الاستقلالية، ومن هذا المنطلق ففي اعتقدنا أنه يمكن تكييف

<sup>1</sup> "وحيث أن حراسة الشيء هي مناط المسؤولية تكون على عاتق مالك هذا الشيء إلا إذا أثبت أن هذا الشيء خرج عن حيازته" المجلس الأعلى، نقض مدني، ملف رقم 25858، قرار بتاريخ 1982/07/07، قرار غير منشور، أشار إليه علي فيلالي، الفعل المستحق للتعويض، ط3، موفم للنشر، 2015، ص198، هامش رقم 2.

<sup>2</sup> نريمان مسعودة بورغدة، المسؤولية عن فعل الأنظمة الالكترونية الذكية، حوليات جامعة الجزائر 1، عدد 31، ج1، جوان 2017، ص137.

مفهوم الحراسة ليطماشى وخصوصية الذكاء الاصطناعي<sup>1</sup> عن طريق اعتبار سلطة الرقابة مفترضة في الحارس، أو أن الحارس بقبوله استعمال واستغلال الذكاء الاصطناعي قد تنازل عن سلطة الرقابة، وفي كل حال من الأحوال يبقى الأمر في يد القضاء لتطويع مفهوم الحراسة ليستجيب وخصوصية الذكاء الاصطناعي.

## 2.1. تكييف مسؤولية المنتج

استحدثت المشرع بموجب القانون 05-10 المتمم والمعدل للقانون المدني نمط جديد من أنماط المسؤولية المدنية وهي مسؤولية المنتج بموجب المادة 140 مكرر "يكون المنتج مسؤولاً عن الضرر الناتج عن عيب في منتوجه حتى ولو لم تربطه بالمتضرر علاقة تعاقدية". يتبين من الحكم الذي تضمنته هذه المادة أنها لا تنطبق على الذكاء الاصطناعي، إلا إذا اعتبرنا أن الذكاء الاصطناعي منتج، وأن الضرر الحاصل مصدره عيب في الذكاء الاصطناعي.

لم يتولى المشرع تعريف المنتج عند تنظيمه لمسؤولية المنتج، وإنما اقتصر فقط على ذكر الأشياء التي تعتبر منتجات حيث تنص الفقرة الثانية من المادة 140 مكرر مدني "يعتبر منتوجا كل مال منقول ولو كان متصلا بعقار، لا سيما المنتج الزراعي والمنتج الصناعي وتربية الحيوانات والصناعة الغذائية والصيد البري والبحري والطاقة الكهربائية". واستنادا على حكم هذه المادة فلا شك أن الذكاء الاصطناعي يعتبر منتج، ومثل هذا الأمر لا يثير أي إشكال<sup>6</sup>.

تتشرط المادة 140 مكرر مدني، حتى يكون المنتج مسؤولاً عن الضرر، أن يكون الضرر مصدره عيب المنتج، وقد أثار استعمال المشرع لمصطلح عيب، عدة تأويلات، فقد انصرف البعض إلى اعتبار مسؤولية المنتج مسؤولية ذاتية قوامها الخطأ طالما أن الضحية ملزمة بإثبات عيب المنتج<sup>H</sup>، في حين ذهب البعض الآخر من الفقه إلى أنه يجب تفسير مصطلح عيب المنتج على ضوء الحقائق المعاصرة التي يعيشها المجتمع الجزائري ومن ثم ينبغي فسح المجال أمام القضاء لتحديد تعريف مصطلح عيب المنتج<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>G. Danjaume, *La responsabilité du fait de l'information*, JCP. 1996, I, 3895. A. Lucas, *op. cit.*, p.817. E. Tricoire, *La responsabilité du fait des choses immatérielles*, Libre droit : mélanges en l'honneur de Philippe Le Tourneau. Dalloz, 2008, p.249.

<sup>6</sup>C. Garin, *L'application des règles relatives à la responsabilité du fait des produits défectueux et à la sécurité générale des produits aux biens immatériels*, journal des sociétés, 2013, p.16.

<sup>H</sup> لحو-خيار غنيمية، محاضرات مادة القانون المدني، الفعل المستحق للتعويض، الواجب للمطبوعات الجامعية، دون سنة نشر، ص73.

<sup>1</sup> علي فيلالي، الفعل المستحق للتعويض، المرجع السابق، ص244-245.

لا شك أن مصطلح عيب المنتج وخصوصية الذكاء الاصطناعي باعتباره شيء غير مادي، يثير العديد من الصعوبات، إذ كيف سيتمكن المتضرر من إثبات عيب منتج شيء غير مادي؟ لا شك في أن مثل هذا الأمر يثير العديد من الصعوبات غير أن هذا لا يمنع في الوقت الحالي من تكييف بعض أنماط المسؤولية المدنية، خصوصا المسؤولية عن فعل الأشياء والمسؤولية عن فعل المنتجات المعيبة في مرحلة أولى وكحل قضائي مؤقت، إلى حين استحداث نمط جديد من أنواع المسؤولية المدنية مستقبلا.

## 2. نحو مسؤولية مدنية عن فعل الذكاء الاصطناعي: حل مستقبلي

أصبح الذكاء الاصطناعي حقيقة يستحيل تجاهلها، ولا شك أن الدول المعاصرة ستوجه حجم كبير من استثماراتها إلى مجال الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الرقمية، وذلك قصد تحقيق رفاهية المجتمعات وازدهارها. إن تعميم الذكاء الاصطناعي في جميع نواحي الحياة ومجالاتها، يستوجب حتما تكريس قواعد جديدة وخصوصا في مجال المسؤولية المدنية أين ينبغي تكريس نمط جديد من أنماط المسؤولية المدنية، تحت عنوان المسؤولية المدنية الناشئة عن فعل الذكاء الاصطناعي.

تشكل الخصوصية التي يتمتع بها الذكاء الاصطناعي، وخصوصا خاصية الاستقلالية والقدرة على التعلم الذاتي، تحد جديد للنظام المسؤولية المدنية أين وصل الأمر ببعض الفقه إلى اقتراح منح شخصية قانونية للروبوتات، وبالموازاة مع ذلك اقترح A. Bensoussan تكريس مسؤولية تدريجية لكل المتدخلين في نشاط الذكاء الاصطناعي مستوحيا هذا النمط من المسؤولية من القانون الأمريكي<sup>1</sup>، من خلال مساءلة مصمم الذكاء الاصطناعي أولا، ثم مساءلة مستعمل الذكاء الاصطناعي ثانيا، ثم مساءلة منتج المركبات المادية وغير المادية للروبوتات ثالثا، وأخيرا مساءلة المالك بصفته حائز للذكاء الاصطناعي.

لقد اقترح جانب آخر من الفقه تكريس نمط جديد من أنماط المسؤولية مشابه لمسؤولية الحارس عن فعل الحيوان<sup>2</sup>، وتتص في هذا الصدد المادة 139 مدني "حارس الحيوان، ولو لم يكن مالكا له، مسؤول عما يحدثه الحيوان من ضرر. ولو ضل الحيوان أو تسرب، ما لم يثبت الحارس أن وقوع الحادث بسبب لم ينسب إليه". تماثل الطبيعة الخاصة للحيوان إلى حد بعيد خصائص الذكاء الاصطناعي، كون أن الحيوان هو شيء تصعب حراسته ومراقبته، وكون الأضرار الناجمة عنه غير متوقعة مثلها مثل الأضرار الناجمة عن فعل الذكاء الاصطناعي، واستنادا للخصائص

<sup>1</sup> N. El-Kaakour, op.cit., p.84.

<sup>2</sup> M-C. Alexandra, *Le droit confronté à l'IA des robots : vers l'émergence de nouveaux concepts juridiques ?*, Recueil Dalloz, n°8, 2016, p.445.

المشتركة بين الحيوان والذكاء الاصطناعي اقترح البعض اعتماد مسؤولية حارس الحيوان كنموذج لتكريس نمط جديد للمسؤولية عن فعل الذكاء الاصطناعي.

إن تحمل المسؤولية بمفهومها الواسع هو شرف لا يناله إلا الإنسان، ومن ثم فإننا لا نوافق المسلك الذي سلكه بعض الفقه عند حاول إسناد المسؤولية إلى الذكاء الاصطناعي والروبوتات. صحيح أن ظهور الذكاء الاصطناعي أثار بعض المشاكل والصعوبات داخل نظام المسؤولية المدنية، غير أنه هذا النظام في اعتقادنا يبقى قادر على مواجهة الذكاء الاصطناعي ومن ثم تعويض المتضرر، بل سيسهل الذكاء الاصطناعي مستقبلا مجالا خصبا لتطبيق قواعد نظام المسؤولية المدنية ولا شك في أن الأمر يبعث على غد مشرق لنظام المسؤولية المدنية، ويفند أطروحة زوالها المرتقب.

ينبغي على القضاء في مرحلة أولى تكييف بعض قواعد نظام المسؤولية المدنية لتعويض كل من أصابه ضرر، ذلك أن تكريس نمط جديد للمسؤولية عن فعل الذكاء الاصطناعي لا يزال أمرا مستقبليا، ومبرر ذلك أن الذكاء الاصطناعي لا يزال في مراحل الأولى من جهة، ومن جهة أخرى فهو لا يزال في تقدم مستمر موازاة مع تطور العلم، ومن ثم فينبغي التريث قليلا لفهم هذه التكنولوجيا حتى يتمكن المشرع من وضع القواعد الملائمة.